شرح كتاب (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) لأبي عثمان الصابوني-رحمه الله.

شرح فضيلة الشيخ

أ.د. أحمد بن عبدالرحمن القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس (٩)

ثم إن الشيخ رحمه الله ساق بإسناده فقال:

(أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المُزكّى قال: حدثني محمد بن داود بن سليمان الزاهد قال: أخبرني علي بن محمد بن عبيد أبو الحسن الحافظ من أصله العتيق – يقصد بأصله العتيق كتابته – **قال: حدثنا أبو يحيى بن كيسبة الوراق قال: حدثنا محمد بن الأشرس الوراق أبو كنانة قال: حدثنا أبو المغيرة الحنفي قال: حدثنا قرة بن خالد عن الحسن** –وهو الحسن البصري– **عن أبيه** –أبيه يسار – **عن أم سلمة في قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}، قالت: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر).**

هذا النقل عن أم سلمة لا يثبت، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفًا ومرفوعًا، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه.

ولكن عندنا ما يغنينا ولله الحمد، فقد قال -رحمه الله-:

(وحدثنا أبو الحسن بن أبي إسحاق المُزكّى بن المُزكّى قال: حدثنا أحمد بن الخضر أبو الحسن الشافعي قال: حدثنا شاذان قال :حدثنا ابن مخلد قال: حدثنا جعفر بن ميمون قال: سئل مالك بن أنس – إمام دار الهجرة، الإمام مالك المشهور – **قوله: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}، كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالاً، وأمر به أن يخرج من مجلسه.**

أخبرنا أبو محمد المخلدي العدل قال: حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد الإسفراييني قال: حدثنا أبو الحسين علي بن الحسن قال: حدثنا سلمة بن شبيب قال: حدثنا مهدي بن جعفر بن ميمون الرملي عن جعفر بن عبد الله قال: جاء رجل إلى مالك بن أنس رحمه الله يعني - كلمة يعني الظاهر أنها لا معنى لها في السياق - **فسأله عن قوله: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}، كيف استوى؟ قال: فما رأيته وجد من شيء كوجده من مقالته** -وجد يعني تغيظ وغضب - **وعلاه الرحضاء** - الرحضاء هو العرق الكثير، كما يعرق من أصابته الحمى، يعني عرق ينتشر في جميع البدن - **وأطرق القوم** - ومعنى أطرق الرجل: يعني نظر إلى الأرض يتأمل - وذلك لشدة هيبتهم من الإمام مالك، وكان مهيبًا، لاسيما وقد أصابه هذا الحال، من فرط وقع السؤال عليه، أن كيف يجرأ امرؤ أن يسأل عن كيفية صفة من صفات الله، فلشدة تعظيمه لربه عز وجل تأثر وتغيظ رحمه الله.

فجعلوا ينظرون الأمر به فيه ثم سرِّي عن مالك رحمه الله - يعني ذهب عنه هذا الوجد - **فقال: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالاً، ثم أمر به فأخرج.**

وأخبرنيه جدي أبو حامد أحمد بن إسماعيل عن جد والدي الشهيد وهو أبو عبد الله محمد بن عدي بن حمدويه الصابوني قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبي عون النسوي قال: حدثنا سلمة بن شبيب قال: حدثنا مهدي بن جعفر الرملي قال: حدثنا جعفر بن عبد الله قال: جاء رجل إلى مالك بن أنس رحمه الله فقال: يا أبا عبد الله! {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}، كيف استوى؟ قال: فما رأينا مالكاً وجد من شيء كوجده من مقالته، وذكره نحوه.

هذا الأثر عن الإمام مالك، صحيح بحمد الله، حتى قال الإمام الذهبي رحمه الله في كتابه ((العلو)) بعد أن ساق مقالة الإمام مالك بن أنس، قال: هذا ثابت عن مالك، وقد رواه اللالكائي وغيره بإسناد صحيح.

هذا الأثر الواقع أنه ميزان، يزن به أهل السنة والجماعة جميع ما يتعلق بصفات الله عز وجل، فهذا السائل سأل الإمام مالك عن كيفية الاستواء، لم يسأله عن الاستواء نفسه، وإنما سأله عن الكيفية، فقال أربع كلمات هي

دستور وميزان لأهل السنة والجماعة في جميع الصفات، قال رحمه الله: الاستواء معلوم: يعني معلوم معناه في لغة العرب.

والكيف مجهول: يعني مجهول بالنسبة لنا، لا أنه ليس له كيفية في الواقع فهذا تعطيل محض.

والإيمان به واجب: لأن الله أمر به، وأخبر به نبيه صلى الله عليه وسلم، فكان يجب الإيمان بخبر الله وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم.

والسؤال عنه بدعة: لأن الصحابة رضوان الله عليهم، لم يكونوا يسألون عن كيفية صفات الله عز وجل، فمن سأل فقد ابتدع.

وفي رواية عن الإمام مالك مرت علينا قال: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول)، وفي هذا مزيد فائدة وإيضاح، بل ربما أن هذا التعبير، أولى من التعبير الثاني.

الاستواء غير مجهول: يعني غير مجهول المعنى في لغة العرب.

والكيف غير مجهول: أي لا يمكن لعقول المخلوقين، أن تتخيله وأن تتصور كيفيته.

والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعا، ثم أمر به فأخرج من المسجد.

وذلك أن زمنهم كان زمن علم، وزمن بصيرة، فلا يخرج أحد بمثل هذه المقالة، إلا وفي قلبه لوثة فيستحق التعزير، ولذلك أخرجه الإمام مالك، كما صنع عمر رضي الله عنه بصبيغ بن عسل الذي كان يسأل الصحابة عن المتشابهات، ويضرب كتاب الله بعضه ببعض، فيقول أرأيت قول الله عز وجل كذا، فكيف بقول الله عز وجل كذا، فيلقي بالشبه، فلما بلغ عمر رضي الله عنه أمره دعى به وقد أعد له عرجين النخل، فقال له: من أنت، فقال على سبيل التكلف: أنا عبد الله صبيغ – وكان يسعه أن يقول: أنا صبيغ - فقال عمر رضي الله عنه، من مقابلته بالمثل، وأنا عبد الله عمر، ثم علاه بالعراجين يضرب رأسه حتى قال: والله يا أمير المؤمنين لقد خرج ما أجد في رأسي، ثم إن عمر لم يكتفي رضي الله عنه بذلك، وهو درع الإسلام وحصنه، فنفاه إلى

الكوفة، أراد أن يطهر مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مثله، وكتب إلى أبي موسى أن ينتبه له وعزم على المسلمين ألا يكلمونه، نوع من الحجر الصحي على العقول، لأن مثل هؤلاء لا ينبغي أن يخلى بينهم وبين الناس.

وفي هذا درس بليغ لنا؛ لأن بعض من ينادي بالحريات، يزين ذلك بهذا الاسم الجميل: الحرية، ويريد بذلك أن يخلى بين دعاة البدعة والعلمنة والسوء والفحشاء أن يهدفوا بما شاءوا، وأن يدعوا إلى باطلهم، فهذا لا شك أنه لا يجوز، ويجب أن يحصن المسلمون، من مثل هؤلاء.

فكان من أمر عمر رضي الله عنه، أن منع الناس من كلامه، فكان هذا الرجل يأتي إلى الحلق في مسجد الكوفة، فكلما أقبل على أهل حلقة ردوه، فيذهب إلى الأخرى، فينادي أهل الحلقة الأولى، أصحاب الحلقة الثانية، ويقولون لهم عزمة أمير المؤمنين، فيردونه، حتى مضى على ذلك زمن، وظن أبو موسى رضي الله عنه أن صبيغ قد ذهب عنه ما يجد، فكتب يستعطف عمر رضي الله عنه أن يخلي بينه وبين كلام الناس، فخلى بينه وبين الناس، ثم يقال أن صبيغ هذا ظهر في فتنة عثمان رضي الله عنه، يعني عاد إلى فتنته؛ لأن هذا الأمر كان يعاوده، نسأل الله عز وجل أن يعصمنا وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وإنما جرنا إلى الكلام عنه كلام الإمام مالك رحمه الله وما أظنك إلا ضال أو مبتدعًا، وأمر به أن يخرج من المسجد.

وعلى هذا قل في جميع الصفات الثابتة عن الله عز وجل، إذا جاءك من يسأل عن الكيفية، فإذا جاءك أحد يسأل عن النزول، قل: النزول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

إذا جاءك أحد يسألك عن صفة المجيء لله عز وجل، صفة الفرح، صفة الضحك، كل ما أخبر به الله تعالى عن نفسه وثبت فأجب بجواب الإمام مالك، ومن أجوبة أهل السنة أن يقول إن الله قد أخبرنا أنه استوى و لم يخبرنا كيف استوى، وهوما ذكره أبو عثمان في النص الآتي:

(وسئل أبو علي الحسين بن الفضل البجلي عن الاستواء وقيل له: كيف استوى على عرشه؟ فقال: إنا لا نعرف من أنباء الغيب إلا مقدار ما كشف لنا، وقد أعلمنا جل ذكره أنه استوى على العرش، ولم يخبرنا كيف استوى).

الله أكبر، طريق أهل السنة، طريق بعيد عن التكلف {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ}، انظروا إلى هذا الجواب السديد، قال: إن الله تعالى أخبرنا أنه استوى و لم يخبرنا كيف استوى، انتهى الأمر.

ثم قال أبو عثمان:

(أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: أنبأنا أبو بكر محمد بن داود الزاهد قال: أنبأنا محمد بن عبد الرحمن السامي قال: حدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه المروَزي قال: سمعت علي بن الحسن بن شقيق يقول: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: نعرف ربنا فوق سبع سماوات على العرش استوى، بائناً من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية: إنه هاهنا. وأشار إلى الأرض).

إذن هذا أيضًا من الأدلة الأثرية من كلام سلف هذه الأمة على إثبات علو الله سبحانه وتعالى فوق عرشه، وبينونته من خلقه، يعني انفصاله عن خلقه، والرد على مقالة حلولية الجهمية، الذين يزعمون أنه في كل مكان، تعالى الله عما يقولون.

قال ابن القيم عن قول بن المبارك آنف الذكر: وقد صح عنه صحة قريبة من التواتر.

قال أبو عثمان:

(وسمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ في كتاب ((التاريخ)) الذي جمعه لأهل نيسابور، وفي كتاب ((معرفة الحديث)) اللذين جمعهما ولم يسبق إلى مثلهما يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانئ يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: من لم يقل بأن الله عز وجل على عرشه قد استوى فوق سبع سماواته فهو كافر بربه حلال الدم، يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وألقي على بعض المزابل حتى لا

يتأذى المسلمون ولا المعاهدون بنتن رائحة جيفته، وكان ماله فيئاً لا يرثه أحد من المسلمين، إذ المسلم لا يرث الكافر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم))).

وهذا نص عظيم من إمام الأئمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة، في شناعة مقالة من أنكر العلو.

قال أبو عثمان:

(**وإمامنا أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي**) هذا تصريح منه رحمه الله أنه شافعي المذهب، (**رضي الله عنه احتج في كتابه المبسوط**) يعني ((كتاب الأم)) (**في مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة، وأن غير المؤمنة لا يصح التكفير بها، بخبر معاوية بن الحكم، وأنه أراد أن يعتق الجارية السوداء لكفارة**) وذلك أن معاوية بن الحكم رضي الله عنه كان قد جعل جارية له على غنمه فغفلت فعدى الذئب فأكل واحدة فغضب معاوية رضي الله عنه ولطم الجارية، ثم إنه ندم، فأراد أن يعتقها كفارة لما جرى منه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم يستشيره في ذلك، (**وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إعتاقه إياها، فامتحنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم لها: ((من أنا؟)) فأشارت إليه وإلى السماء، يعني: أنك رسول الله الذي في السماء، فقال صلى الله عليه وسلم: ((اعتقها فإنها مؤمنة))**) هكذا بهذا اللفظ، وقد ورد هذا الحديث الصحيح بلفظ آخر أصرح منه، فقد أخرجه الإمام مسلم في ((صحيحه)) عن معاوية بن الحكم، بلفظ: فقال لها: ((أين الله؟)) قالت: في السماء، قال: ((من أنا؟))، قالت: أنت رسول الله، قال: ((اعتقها فإنه مؤمنة)).

(قال أبو عثمان: **فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامها وإيمانها لما أقرت بأن ربها في السماء، وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية**) يعني أن الإمام الشافعي رحمه الله؛ استدل على أنه في الكفارة لابد أن تكون الرقبة مؤمنة، فاستدل على إيمان الرقبة المؤمنة بقصة معاوية بن الحكم مع الجارية، فكان ذلك دليل على الإيمان، اعتقادها بأن ربها في السماء، وأن المشار عليه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا وجه الاستشهاد بذلك.

(قال أبو عثمان: **وإنما احتج الشافعي رحمة الله عليه على المخالفين في قولهم بجواز إعتاق الرقبة الكافرة في الكفارة بهذا الخبر؛ لاعتقاده أن الله سبحانه فوق خلقه، وفوق سبع سماواته على عرشه، كما معتقد المسلمين من أهل السنة والجماعة سلفهم وخلفهم، إذ كان رحمه الله لا يروي خبراً صحيحاً ثم لا يقول به).**

بقي أن نجيب على إشكال، وهو ما معنى أن الله في السماء؟ هل نقول إن في بمعنى الظرفية أم غير ذلك؟

نقول عن ذلك جوابان:

أما أن نقول بأن في بمعنى على، وحروف الجر تتناوب في اللغة العربية، فتأتي في بمعنى على، وقد تكرر ذلك في القرآن العظيم غير مرة ولا مرتين، مثال ذلك قول الله عز وجل في قصة فرعون مع السحرة: {وَلأصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ}أي عليها، إذ ليس مراده الظرفية، وأن يجعل السحرة في جوف جذوع النخل، أراد على جذوع النخل، إذن في تأتي بمعنى على، كذلك قول الله عز و جل: {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا} المراد على مناكبها، أي الأرض، وغير هذا.

إذن معنى {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء}، ومعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم للجارية: ((أين الله؟)) قالت: في السماء، أي على السماء، فيزول الإشكال.

الجواب الثاني: أن نقول في على وجهها وأنها تدل على الظرفية، لكن السماء هاهنا، ليس المقصود بها السماء المبينة التي هي السقف المرفوع، وإنما المقصود بها العلو، إذ العرب تقول: كل ما علاك فهو سماء؛ فسماء المسجد سقفه، فحينئذ نجريها على الظرفية، فيكون معنى قول الله عز وجل{أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء}، إي أأمنتم من في العلو، فهي جهة عدمية، ليس المراد بها أنها جهة تحيط به سبحانه وتعالى، تحويه، أو تظله، أو تقله، تعالى الله عن ذلك، وإنما المقصود أنه سبحانه وتعالى في جهة العلو فبذلك يزول الإشكال، فلو توهم متوهم أن معنى قول الله عز وجل{أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء}، أن السماء تظله أو تقله أو أنه في شيء من مخلوقاته، فهذا وهم باطل ولا ريب، ولا يمكن أن يتطرق لمن عرف ربه، فقد جاء في الحديث: ((ما السماوات السبع، والأراضين السبع في

هذه المادة لم تراجع على الشيخ. حفظه الله.

كف الرحمن إلا كخردلة في كف أحدكم))، فكيف يتوهم موتوهم أن السماء تظله أو تقله، فيصان سبحانه وتعالى عن الظنون الباطلة.

ولما قرر الشيخ أبو عثمان رحمه الله عقيدة الإمام الشافعي في العلو واستدلاله بهذا الحديث، عقب بالقول:

(**إذ كان رحمه الله لا يروي خبراً صحيحاً ثم لا يقول به**) ثم أتبع ذلك ببعض الأدلة على أن الإمام الشافعي رحمه الله لا يروي خبر صحيح ثم لا يقول به، قال أبو عثمان:

(**وقد أخبرنا الحاكم أبو عبد الله رحمه الله قال: أنبأنا الإمام أبو الوليد حسان بن محمد الفقيه قال: حدثنا إبراهيم بن محمود قال: سمعت الربيع بن سليمان يقول: سمعت الشافعي رحمه الله يقول: إذا رأيتموني أقول قولاً وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه فاعلموا أن عقلي قد ذهب**) رحمه الله، انظر تعظيم السلف لنصوص الوحيين، يقول إذا رأيتموني أقول قولا مخالفا لقول النبي صلى الله عليه وسلم، فلا تأخذوا عني، اعلموا أن عقلي قد ذهب، وإنما أراد التأكيد رحمه الله، أن ذلك لا يقع منه، حاشاه، ويدل عليه الحكاية التالية.

(**قال الحاكم رحمه الله: سمعت أبا الوليد –غير مرة– يقول: حدثت عن الزعفراني أن الشافعي رحمه الله روى يوماً حديثاً فقال السائل: يا أبا عبد الله! تقول به؟! قال: تراني في بيعة أو كنيسة؟! ترى علي زي الكفار؟! هو ذا تراني في مسجد المسلمين، عليّ زي المسلمين، مستقبلاً قبلتهم، أروي حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم لا أقول به؟!**) يعني أنه رحمه الله شدد النكير على هذا السائل، روى حديثا ثم جاء هذا الإنسان –لعله ساذج – فقال له يا أبا عبد الله تقول به، فتغيظ الإمام الشافعي فقال: ماذا ترى هل تراني في بيعة أو كنيسة؟ والبيعة هي معبد اليهود، والكنيسة معبد النصارى، ترى عليّ زي الكفار، كما جاء في بعض الألفاظ، وهل ترى في وسطي زنار، والزنار كان من ملابس أهل الذمة، فشدد عليه النكير، فقال ها أنت تراني في مسجد المسلمين، على زي المسلمين، مستقبلا قبلتهم، أروي حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم لا أقول به.

فبه يتبين أن الشافعي وغيره من سلف هذه الأمة يعظمون نصوص الوحيين، وإذا صح الحديث عندهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخذوا به وضربوا بأقوالهم عرض الحائط.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.